العدد(1403) السنة السادسة - الاحد (4) كانون الثاني 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الأهرام
١/٣

غزة بين المطرقة الإسرائيلية والسندان الإيراني

بمجرد أن شنت إسرائيل هجومها على الفلسطينيين بقطاع غزة، انطلق الإعلام الغربي يعزف على نغمة قيام إسرائيل بشن حرب على حماس، مصورا هذه الإبادة بأنها حرب ضد منظمة إرهابية، بينما انطلق الإعلام العربي مساندا بتصريحات رسمية في بعض الأحيان أن مصر أعطت الضوء الأخضر لوزيرة الخارجية الإسرائيلية خلال زيارتها للقاهرة بشن العدوان، وطالبت بعض النظم والقطاعات العربية القاهرة بفتح معبر رفح لنقل المساعدات الى قطاع غزة وطرد السفير الإسرائيلي، بل وصل التطرف الى ان دولة عربية شقيقة قررت منع المصريين من دخولها ما لم يتم نقل معوناتها الى غزة، ثم ادعت فيما بعد أن هذا القرار كان خاطئا، كما شن رئيس احدى حركات المقاومة اللبنانية هجوما ضد مصر مطالبا جيشها بالقيام بانقلاب ضد الدولة. وإذا كان للمشهد الغربي مبرراته ـ سواء قبلناها أم لا ـ

د..عزمي خليفة

فمن المؤكد ان المشهد العربي ليس له أدنى مبررات، خاصة أن العرب من المحيط الى الخليج يعلمون علم اليقين تضحيات مصر من أجل القضية الفلسطينية، ويعلمون جيدا ان مصر ليست الدولة العربية الوحيدة التي أقامت سلاما مع إسرائيل اسفر عن تبادل السفراء، وبالرغم من ذلك، لم يطالبوا طرفا عربيا آخر بطرد ا لسفير الإسرائيلي من أراضيه، وهو ما يؤكد ان الموقف العربي كان متأثرا في ذلك بعوامل ترتبط بالنظام الإقليمي العربي، أكثر من ارتباطهم بالقضية الفلسطينية وسبل حلها.

لقد تناسى المشهد العربي عدة ملاحظات من المهم الإشارة اليها:

أولا: لم يكن قيام إسرائيل بشن حرب ضد قطاع غزة أمرا مفاجئا، خاصة بعد وصول إيقاف إطلاق النارالى نهايته، واتجاه حماس والجهاد الى رفض تمديد التهدئة، وتأكيد ذلك بإطلاق الصواريخ على المستعمرات الإسرائيلية، فضلا عن أن أساليب مقاومة الاحتلال اختلفت تماما عما سبق، خاصة أن قوة الاحتلال تدير عملياتها من الجو.

ثانيا: لقد قام الإعلام العربي بعملية إحلال، بمعنى أنه ازاح من الصورة إسرائيل وأصبح خلافه مع مصر بدلا منها، وأصبح جوهر المعركة توصيل المعونات وليس إيقاف العدوان الإسرائيلي وحرب الإبادة الإسرائيلية.

ثالثا: تناسي الجميع ما قدمته مصر من دماء أبنائها من أجل القضية الفلسطينية ومازالت تقدمه حتي الآن ومحاولاتها المستمرة للم الشمل العربي، وبدأت المزايدات من أقزام عربية تسعى الى إثبات الذات، وهذا الإثبات لن يتأتى إلا على حساب عملاق له دوره العربي، وهو أمر ماكان ينبغي أن يتم لسبب بسيط هو ان النظام الإقليمي العربي يقوم على تحالف رباعي: مصر والسعودية وسوريا أو العراق ثم الجزائر، سوريا غيبت نفسها عن هذا التحالف فانشطر النظام العربي على نفسه.

رابعا: كعادة الصديق الأمريكي أيد العدوان الإسرائيلي واضعا في اعتباره انه يضرب حماس الحليف التقليدي لإيران، وانه يؤيد سياسة حليف استراتيجي هو إسرائيل، وغاب عنه ان الحرب ليست ضد حماس ولكنها ضد الشعب العربي . الفلسطيني الأعزل رجالا وأطفالا ونساء، وهو ما يزيد من الاستقطاب في المنطقة العربية.

خامسا: تأتي هذه الأزمة لتؤكد حالة الاستقطاب الحالية في النظام العربي، فإيران لها أهدافها ومصالحها في منطقة الخليج العربي وهو أمر مشروع، ولكن غير المشروع ان تتبع أساليب تهدم بها دولا في المنطقة، بمعنى ان تسعي الى تصفية حسابات على حساب الشعب الفلسطيني أوعلى حساب دول منطقة الخليج نفسها.

سادسا: يؤكد ذلك ان الموقف الذي اتخذته بعض أطراف النظام العربي . والمناهض لمصر دون وجه حق . يأتي بعد أيام قليلة من تسيير تظاهرات في سوريا ضد السفارة المصرية بدمشق، وبعد تصريحات وتظاهرات إيرانية مناهضة لمصر.

سابعا: يظل حجر الزاوية في سياسات منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي إيرانيا بحتا، ففي كل مرة نتحدث فيها عن أزمات منطقة الخليج العربي أو المشرق العربي لا يمكن ان نغفل الدور الإيراني، فإذا تحدثنا عن العراق أو سوريا أو الخليج أو أسلحة الدمار الشامل فهناك إيران.

ثامنا: مرجع ذلك ان لإيران معضلة تاريخية تتمثل في اقتطاع أجزاء من أراضيها وضمها لجيرانها، وهو ما اصابها بحالة من الفوبيا الأمنية، ودفعها للاستقواء على دول الخليج العربي مستغلة في ذلك أدوات عديدة سواء كانت عسكرية مثل احتلالها للجزر الإماراتية الثلاث أو اقتصادية أو اجتماعية.

تاسعا: مشكلة السياسة الإيرانية، الى جانب ذلك، أنها نجحت بالفعل في عقد تحالف استراتيجي مع دولة عربية مهمة هي سوريا مع غياب الدور العراقي وفي ظل سياسات أمريكية تسيء تقدير نتائج تحركاتها في منطقة الخليج لتزيد من الفرص الإيرانية بالمنطقة على حساب الدول العربية . الخليجية. بطبيعة الحال فإننا كعرب نعترف بإيران كجار له مصالحه، وكدولة لعبت دورا لايمكن إغفاله في الحضارة الإسلامية، وتطبيع العلاقات معها أمر ضروري إلا ان هذا التطبيع لا يأتي عبر التظاهرات أو محاولات لي الذراع، ولكن ينطلق من ضرورات سياسية وجغرافية وتطورات إقليمية ومصالح قومية، وهو ما يعني ان هذا التطبيع ينبغي ان يستند الى التعاون مع مصر ودول الخليج والمشرق وليس استنادا الى الهيمنة والسيطرة، والى الحوار وليس لغة القوة، فالسبيل الوحيد لإنهاء أزمة الثقة التاريخية بين إيران والعرب هو الحوار، إلا ان مايحد من نتائج هذا الحوار هو التناقض الذي تقوم عليه السياسة الخارجية الإيرانية، فبالرغم من ان إيران دولة بترولية، إلا ان المصالح البترولية بطبيعتها ليست قومية، بل هي مصالح دولية، وهو ما يزيد من المخاوف الأمنية الإيرانية. كذلك بالرغم من الدور المهم الذي قامت به إيران في التاريخ الإسلامي والذي لا يمكن إنكاره إلا ان اتباعها للمذهب الشيعي يحد من هذا الدور لأنه مذهب الأقلية في الإسلام اليوم، وهو مايفسر الكثير من الظواهر في السياسة الخارجية الإيرانية،

والتي تستند الى تحليل سلوك الأقليات والشعور بالاضطهاد والخوف من الآخر. إضافة لذلك، فإن إيران تعاني مشكلة قومية نتيجة خليط القوميات والجماعات الإثنية والدينية بها، خاصة أن الشيعة بها لا يمثلون أكثر من٥٤٪، من إجمالى سكان الدولة، ويليهم الأذاريون نحو٢٤٪ من السكان، ثم اقليات كردية وبلوشية وعربية وأرمينية وتركمانية والتي تتراوح نسبتها بين٧٪ ونحو١٠٪، مما يكبل سياستها للأمن القومي بقيود عديدة ويجعل من الإسلام وسيلة أساسية لتحقيق التماسك القومي والحفاظ على الهوية.

من ناحية أخرى، فإن امتداد حدودها مع سبع دول هي باكستان(القوة النووية السنية) وأفغانستان التي تقبع بها قوات الناتو، وتركمنستان وأذربيجان وأرمينيا وتركيا والعراق المحتل أمريكيا، ولديها مشكلات حدودية مع أذربيجان والعراق، فضلا عن مشكلات البحر الإقليمي بينها وبين السعودية والكويت، ومطامعها في البحرين واحتلالها جزر الإمارات الثلاث، ومشكلة ترسيم الحدود البحرية في بحر قزوين مع الدول المطلة عليه، ومشكلة النزاع مع أفغانستان حول حقوق نهر هلماند، فضلا عن شعورها بالاحتلال السكاني إذ أنها بالرغم من كونها أكبر دولة خليجية، إلا ان سكانها لايملثون سوى٢٣٪ من عدد السكان في آسيا الوسطى، كلها عوامل تؤجج مشاعر الخوف من الآخر والشك في دول الجوار ويفسر ميلها نحو الهيمنة بدلا من تغليب لغة الحوار. وبقدر تغلغل إيران في دول الخليج العربي، فقد نجحت في التغلغل في منطقة المشرق العربي من خلال تحالفها مع سوريا وحماس وحزب الله، وإذا كان حزب الله قد ادى عسكريا في حرب٢٠٠٦، بصورة جيدة، إلا أن حماس تفتقد الإعداد العسكري وهو ما يتطلب ضرورة لم شمل البيت الفلسطيني فور إيقاف العدوان الإسرائيلي الذي يستهدف بالدرجة الأولى زيادة الانقسام الفلسطيني وإبادة الشعب الفلسطيني وتصفية القضية الفلسطينية. ومن ثم فإذا كانت مطرقة الحرب الإسرائيلية، فبكل تأكيد جاء السندان إيرانيا، بكل النفوذ الإيراني في المنطقة العربية سواء في الخليج أم المشرق، واضحى الهدف تصفية حسابات غير مطلوب وغير مرغوب إثارتها في الوقت الراهن.

الوطن
١/٣

ماذا لو لم تتحقق الآمال المتوقعة من أوباما؟

عاطف الغمري

إن أي استراتيجية تضع في حساباتها، ما هو متوقع، من التحديات والفرص، وما هو محتمل، وأيضا ما قد يكون حدوثه مستبعدا، وتحسب لها الخيارات التى تتعامل بها مع كل منها. ولهذا يكون حسب منطق التفكير الاستراتيجي «افتراض»، أن إيجاد حل للقضية الفلسطينية، قد لا يحتل أولويات اهتمام الرئيس المقبل أوباما، وأن القضية قد تدخل مسار التصفية وليس الحل، خصوصا أن المؤشرات الصادرة من واشنطن متناقضة، وليس بينها انسجام، بل إن فيها ما يدعو لأخذ هذا الاحتمال مأخذ الجدية، وإن كنا رغم ذلك نتعلق بالأمل.

هذا لا ينفي أن حكومة أوباما ستجد نفسها وسط تناقضات تتجاذبها إلى اتجاهات متضاربة، بين صرف النظر عن أي مساع جدية للحل والاكتفاء بدبلوماسية التطمينات النظرية، وبين الجدية في إيجاد حل.

وأساسا فإن السياسة الخارجية في الولايات المتحدة، هي لعبة توازن قوى، وموازنة بين عناصر ضاغطة على عملية صناعة القرار، وفرز الأشد منها تأثيرا، وله تواجد وحضور في هذه العملية، والمغيب عن التأثير ومن هو غائب.

وإذا كان القرار يخص الشرق الأوسط، فتلك منطقة تتحرك فيها استراتيجيات قوى إقليمية لها فيها أهداف، ومطامع، ومصالح قررتها من وجهة نظرها، وهي إسرائيل، وإيران، وتركيا، فماذا عن العرب؟ وهل لهم استراتيجية يتحركون بها لصيانة وحماية مصالحهم الحيوية وأمنهم القومي؟

الإجابة بالطبع معروفة.

وتلك أيضا لعبة توازن قوى على المستوى الإقليمي، لها تأثيرها بالضرورة في صناعة القرار في واشنطن.

وليس خافيا أن إسرائيل أوجدت على أرض الواقع عقبات، قصدت منها إضعاف فرص حل القضية الفلسطينية، من بينها الجدار العازل، والتوسع الاستيطاني، وابتلاع مزيد من الأراضي الفلسطينية، فضلا عما أوجده الفلسطينيون من جانبهم بهذا الانقسام غير الوطني بين حماس وفتح. وذلك كله في غياب أي موقف عربي يملك استراتيجية التصدى لهذه السياسات، فضلا عن تلاعب بالقضية في فترة حكم بوش، وهو ما وصفه تقرير بريستون لاستراتيجية ما بعد بوش بعبارة «نحن لم نعد وسيطا نزيها»، وعبر عنه أرون ديفيد ميللر بقوله «سمحنا لإسرائيل باختطاف جهود السلام الأميركية، وتقويض مصداقيتنا».

إن أوباما عندما يدخل البيت الأبيض رسميا في٢٠ يناير ٢٠٠٩، فهو يبدأ عهده بميراث ثقيل من الصراعات الإقليمية الملتهبة تركها له بوش: في العراق، وإيران وأفغانستان، والصومال، والسودان، وفلسطين، وغيرها.. وهو سيعمل على ترتيبها في قائمة أولوياته، وهو ما قد يوحي بأن القضية الفلسطينية، بكل من يحيط بها من دواعي دفعها في سلم الأولويات، إلا أن ما يوازن ذلك على الجانب المضاد، موقف عربي غائب، وإلى جواره حركة نشطة للقوى الإقليمية الأخرى، إضافة إلى تداخل قضايا المنطقة وتشابكها، من حيث إدراج أكثر من قضية من قضاياها، ضمن خطط عمل استراتيجيات القوى الإقليمية الأخرى.

وعلى سبيل المثال، فإن إيران صار لها دور فاعل في إطار القضية الفلسطينية، من خلال خصوصية علاقتها مع حماس، وظهر لها دور في لبنان، ونمو في العلاقة مع سوريا، إضافة بالطبع إلى العراق.

وعلى الناحية الأخرى، فالولايات المتحدة في بحثها عن حل للخروج من مأزقها في العراق، تحتاج إلى الحد من النفوذ الإيراني هناك، وحل مشكلة الملف النووي الإيراني، وهذا يعني - وهو أمر متوقع- مفاوضات أميركية -إيرانية، سوف تتمسك فيها أميركا بأن تلتزم إيران بالإقلاع عن مشروع امتلاك سلاح نووي، وفي مقابل ذلك هناك مطالب إيرانية معروفة، وتناقش في أميركا، وهي تقديم التزام أميركي بعدم ممارسة سياسة زعزعة الوضع الداخلي في إيران، وبقبول دور إيراني في ترتيبات الأمن الإقليمية، أي أنه من غير المستبعد، إتمام صفقة بين الولايات المتحدة وإيران، لابد أنها ستثير المخاوف من أن تكون على حساب المصالح العربية.

معنى ذلك أن ترتيب أولويات حكومة أوباما، لا تحكمها وعود انتخابية، أو نصائح لشخصيات أميركية مرموقة على معرفة بالمنطقة، ومصالح أميركا فيها، لكن ذلك كله يعتمد على قرار يصنع وفق قواعد لعبة توازن القوى، وعلى قدرة أي طرف على الحركة والتأثير وامتلاك رؤية واضحة محددة، يحشد من ورائها، ما يملكه من أوراق ضغط، ومقدرة على إدارة علاقاته إقليميا ودوليا، وإثبات بأنه طرف فاعل في إدارة وحل الصراعات الإقليمية، وذلك وفق استراتيجية محددة المعالم، لها هدف ووسائل واليات تنفيذ.

وهذا لا يعني تجاهل هدف أوباما للتغيير، خصوصا في علاقات بلاده بدول العالم، وسياساتها الخارجية تجاه القضايا والمشكلات الدولية والإقليمية. ومسألة التغيير مستقرة ومتفق عليها بين غالبية خبراء السياسة الخارجية في الولايات المتحدة، من ساسة، وأكاديميين، وأجهزة مخابرات، لكن خريطة التغيير الموضوعة، واسعة وتشمل قدرا كبيرا ومتنوعا من المشكلات والتطورات، والتحديات، وإذا كان أوباما سيحدد وضعها في سلم الأولويات، فإن ما سيفرض أولوية إحداها على البقية، هو كون كل طرف في قضية من القضايا، حاضرا برؤية وقدرة على الحركة، وإعلان بأنه موجود.

هكذا يصنع القرار، وليس إرضاء لأماني الآملين.

النهار
١/٣

ماذا عن التلفزيون ؟ هل يستسلم للإنترنت؟

أذهلتني الملاحظة. كنت أظن أن تأثير الانترنت في الصحافة المكتوبة هو الموضوع الذي يأخذ الحيّز الاكبر من النقاش الاعلامي نظراً الى إلحاحه والخسائر التي تُمنى بها الصحف وخصوصاً في الغرب، عندما كنت أتحدث في الموضوع مع شخصية تلفزيونية اميركية فقالت: «صحافة الورق انتهت. لقد دخلنا اليوم مرحلة موت التلفزيون».

سحر بعاصيري

موت التلفزيون؟ استنتاج مخيف. قلت إما انه مبالغة وإما انه حكم متسرع. لطالما اعتبرت أن ثورة تكنولوجيا الاتصالات أعطت التلفزيون ميزات اضافية جعلته مدى عقود سيد التغطية المصورة والحيّة للاخبار او الاحداث المهمة محلياً او دولياً وسيد برامج التسلية والمسلسلات والافلام. ولطالما اعتبرت ان الانترنت بما توفّره من منافذ لضخ المادة والصورة فتحت آفاقاً جديدة للبشرية. ولكن يبدو أن النظرة من داخل صناعة التلفزيون مختلفة ومفادها أن ما فعلته الانترنت بصحف الحبر والورق بدأت تفعله الآن بالتلفزيونات وإن بدرجة أقل وأبطأ. وها هي تضعه على الحد بين أن يستسلم لها فينتهي أو أن يعيد اختراع دوره مستفيداً منها ومتكاملاً معها ليبقى ويتطوّر بل ليحفظ موقعاً متقدماً لنفسه في بث البرامج، اخبارية توثيقية كانت أم تثقيفية أم ترفيهية، وطبعاً ليحفظ الثروة التي يحتاج الى تدفقها من الاعلانات.

وهذا صحيح الى حد كبير. فما تفعله الانترنت بالتلفزيون يصيب جوهر ما قام عليه:

كانت محطة التلفزيون تقرر للمشاهد ماذا يشاهد ومتى يشاهد. جاءت الانترنت لتسقط كل حواجز الزمان والمكان وتفتح العالم بعضه على البعض وتتيح لأي شخص أن يشاهد ما يريد وقت يريد. وليس القصد البرامج الاخبارية وحدها. ففي النهاية، إن أحد الادوار الاساسية للتلفزيون هو الترفيه. والانترنت فتحت مجالات واسعة جداً للفيديو أونلاين، من برامج تلفزيونية أو أفلام، مجاناً أو مدفوعة بكلفة بسيطة.

كانت محطة التلفزيون تبث الخبر واذا لم تُعد بثه انتهى. لا يمكن المشاهد أن يحفظه كما يحفظ القارئ خبراً من صحيفة ورقية. لا ذاكرة عملياً. جاءت الانترنت بقدرتها على تخزين المادة لتجعل الوصول ممكناً الى أي خبر بُث في أي وقت.

بهذا المعنى صارت الانترنت تلزيوناً زائداً أكثر بكثير لأنه يلبي كل طلبات المشاهد أو المستهلك. بفضلها صار المشاهد هو المحور وليس محطة التلفزيون. هو يتحكم بالبرمجة وليس هي. وهو يتحكم بما يشاهد ومتى يشاهد حتى من برامج التلفزيون نفسها. واذا لم تعجبه هذه البرامج فله أن يختار بين مواقع عدة ومادة أكبر.

باختصار أنهت الانترنت زمن الاحتكار الذي مارسته محطات التلفزيون وصار المطلوب تلفزيون على طلب المشاهد. برمجة على الطلب. تسلية على الطلب. أخبار على الطلب. المشاهد هو صاحب القرار.

فماذا تفعل صناعة التلفزيون إزاء هذا الواقع الجديد وهل بهذه السهولة تترك الانترنت تبتلعها؟ تقوض دورها بعد عقود من السيطرة تسرق منها المشاهدين؟ تسرق الاعلانات؟

مسيرة التلفزيون هي اساساً مسيرة اختراق تكنولوجي كبير غيّر المشهد العام كلياً في القرن العشرين اذ أحدث اختراقاً اعلامياً وثقافياً يفتح آفاقاً جديدة من وصل العالم بعضه بالبعض. وساهمت التكنولوجيا في تطوير هذه المسيرة في الشكل والمضمون والارسال وطبعاً في استقطاب المشاهدين.

منذ اختراعه دخل ببطء بعض المنازل في الغرب وظل انتشاره محدوداً الى ما بعد الحرب العالمية الثانية. ثم شهد انتشاره الفعلي ابتداء من مطلع الخمسينيات وكانت القفزة الواسعة مطلع الستينيات. وفي لبنان لا شك في أن كثيرين يتذكرون دخول التلفزيون منازلهم في ١٩٥٩ عندما تأسست شركة التلفزيون اللبنانية.

من يتذكر تلك الفترة من المشاهدين لا بد انه يتذكر كيف كان التلفزيون. جهازاً ضخماً نسبياً مقارنة بحجم شاشته. دخل البيوت وتصدّر غرف الجلوس فيها. صار هو محور السهرات لأن ساعات البث كانت غالباً في المساء. الصغار ينتظرون أوقات عرض الرسوم المتحركة. الكبار ينتظرون الاخبار والافلام والمسلسلات وبرامج التسلية. وصار محور أحاديث الناس. ومن يتذكر تلك الفترة لا بد انه يتذكر ايضاً أن الصورة كانت بالاسود والابيض وان الارسال كان يتقطع أحياناً كما يختفي الصوت أحياناً. لكن مجرد وجود هذا الجهاز الذي ينطق وتتحرك الشخصيات على شاشته وينقل العالم الى غرفة الجلوس كان شيئاً يشبه المعجزة.

وتدريجاً بدأ التلفزيون يتغير. شكل الجهاز تغير. المؤخر الكبير تقلّص والشاشة كبرت واستقامت حتى بلغنا زمن الشاشات الرقيقة جداً بلا مؤخر. بلازما وغيرها. الصورة تغيرت. الاسود والابيض صار ملوناً والملون صار أوضح حتى بلغنا زمن الوضوح العالي وثمة من يقول إن كل ما نملكه من وضوح اليوم لا يفي الالوان الحقيقية حقها بعد. البرامج تغيرت. صارت أكثر تنوعاً وأكثر جذباً للمشاهدين مع قيام محطات جديدة. بدأ التلفزيون يغير موقعه في المنازل فتسلل من غرف الجلوس الى الغرف الاخرى إما بسبب تضارب البرامج ومشاهديها في المنزل نفسه وإما لحاجة فصل الاولاد مثلاً عن أهلهم بالنسبة الى ما يشاهدون. الارسال تغير. فبعدما كانت البرامج مسجلة او حتى التقارير الاخبارية مسجلة بدأ البث الحي يضفي حيوية جديدة على المادة التلفزيونية.

وهكذا استمر توسّع التلفزيون وتقدم تقنياته. فبعدما كان عدد المحطات محدوداً بدأ يتكاثر وسمحت الاقمار الاصطناعية بالتقاط بث محطات خارجية وصار المشاهد قادراً على التقاط المئات منها على جهازه. وبعدما كانت المحطات أرضية صارت فضائية وصار في إمكان المشاهد الذي يعيش خارج حدود بلده قريباً أو بعيداً أن يلتقط الفضائيات التي يريد. وبعدما كان البث تقليدياً بدأ يصير رقمياً مما يعني نوعية متطورة للصورة وقدرة على تسجيل المادة التي تبث وتخزينها في الكومبيوتر. دول أوروبية عدة انتقلت الى البث الرقمي واميركا تستعد له في شباط المقبل. ومثلما تغير التلفزيون على المشاهدين، تغير على العاملين فيه. تغطية أي حدث اختلفت الى حد مذهل. كانت أمراً صعباً ومكلفاً. كان المراسل التلفزيوني يذهب الى موقع ما ومعه فريق من المصورين ومهندسي الصوت والضوء محمّلين بمعدات وكاميرات من الوزن الثقيل. ومتى انتهوا من التصوير تبدأ صعوبة ايصال المادة الى الاستوديو. لكن المعدات صغرت وحلت بعض الكاميرات محل فرق بأكملها وتطورت وسائل نقل المادة الى الاستوديوات حتى صار مباشراً وعبر الاقمار الاصطناعية... وأكثر من ذلك. صار في وسع المراسل أن يذهب وحده الى موقع الخبر ومعه «فيديو فون» ويعطي رسالته مباشرة ولو بصورة مشوشة. وتكفي المقارنة في تغطية العراق بين «عاصفة الصحراء» في ١٩٩١ واحتلاله في ٢٠٠٣. في عاصفة الصحراء كانت «السي أن أن» تغطي ٢٤ ساعة. الصحافيون يجمعون موادهم وينتظرون في مواقعهم لصعوبة نقل المعدات. والمعدات في شاحنات عليها صحون لاقطة لاقمار اصطناعية تزن أطناناً. والمراسلون مزودون هواتف «ساتيلايت» يزن الواحد منها عشرات الكيلوغرامات. أما في ٢٠٠٣، فأتاحت التكنولوجيا المتطورة تغطية حية من كل الجبهات. صحافي واحد في الموقع بدل فريق ومعه كاميرا صغيرة معلقة على خوذته و«فيديو فون» لبث الرسالة.

ولنعترف بأن ما من شيء غيّر التلفزيون مثل البث الحي. أي حدث سواء أكان كارثة طبيعية أم حرباً أم مجرد مطاردة لسارقين أو لقاء لمشاهير، يصير كالمغناطيس للمشاهدين لأنه يوجد لديهم شعور بالمشاركة في صنع هذا «التاريخ». الكل يريد أن يعرف ما يحصل ويريد أن يعرف في الوقت الذي يعرف الآخرون. ولنعترف ايضاً بأن هذا البث الحي الذي جعل الناس، أينما كانوا، يعيشون أحداث العالم في الوقت الحقيقي «ريل تايم» قصّر عملياً عمر الخبر وجعل المشاهد يريد المزيد وإلا فقد اهتمامه.

ولعل هذه إحدى الحاجات التي تلبيها الانترنت بفضل تنوعها واتساعها ومرونتها. فكل التطورات التي قفزت بالتلفزيون الى آفاق جديدة، لم تستطع أن تسد الفجوة التي أحدثتها الانترنت في عمله: التلفزيون لم يعد المنفذ الوحيد المتحكم بالمادة والصورة حتى لو بث ٢٤ ساعة، ثم انه غير قادر على منح المشاهد المرونة التي يطلبها للتحكم في البرامج وفي استعادة خبر ما أو مسلسل فاتته رؤيته أو في الغوص في المادة القديمة أو في متابعة أي خبر في العالم لحظة بلحظة. بكلام آخر، إن الجمهور الذي كان التلفزيون يخدمه صار يتلقى خدمات أفضل من أماكن أخرى وصارت البدائل أمامه كثيرة.

كيف؟ لنأخذ بعض الامثلة:

الفيديو أون لاين بديل أساسي. ففي اميركا وحدها لاحظ الخبراء تحولاً دراماتيكياً في كمية الفيديو التي يشاهدها الاميركيون على الانترنت هذه السنة: شاهدوا ١٠ مليارات فيديو في شهر شباط وحده وهذا ارتفاع بنسبة ٦٦ في المئة عن شباط ٢٠٠٧. واذا كان الفيديو أون لاين مجانياً كتلك الاشرطة التي يبثها موقع «يوتيوب» فالبدائل تزداد. أولاد في اميركا مثلاً يتابعون على هذا الموقع فيلم «اكشن» ياباني اسمه «نارونو» لا تعرضه التلفزيونات الاميركية. وهكذا في غير اميركا واليابان وعلى مواقع أخرى ولدى فئات عمرية مختلفة. وثمة «بدائل» تلفزيونية على الانترنت. في الرياضة مثلاً، يمكن المشتركين في موقع «ام ال بي تي» مشاهدة ٢٥٠٠ مباراة بايسبول في السنة ويمكنهم متابعة سبق مباريات في الوقت عينه. واذا صادف انهم يتابعون الست وثمة مباراة تعنيهم غير معروضة في تلك اللحظة، فإن الموقع يرسل اليهم تنبيهات خاصة عن تقدم المباراة ونتائجها. أما في الاخبار، فازدادت المواقع التي تلبي طلبات معينة للمهتمين غير القادرين على انتظار موعد نشرة الاخبار التلفزيونية أو حتى مراجعة الانترنت في أي وقت. فموقع «بوليتيكال لانش. كوم» مثلاً يصدر تقريره الالكتروني وقت الغداء ليشبع حاجة المهتمين بالسياسة ولكن من غير المهووسين بها، فيقرأونه وهم يتناولون وجبة سريعة ليعودوا الى عملهم.